

## الباب الثاني الحالة (3)



## دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة  
شرح على المتن: ديوان اغوار النفس

.... الطريق إلى "الآخر" اقترابا، فتوجسا، فتراجعا

تتداخل مراحل النمو (أثناء النمو، أو أثناء العلاج) تداخلا خفيا ومتنوعا يحتاج إلى فحص متأن طول الوقت. لا يوجد موقف "كر- فر" (بارنوي) خالص، كما لا يوجد موقف "علاقاتي بشري" (اكتنابي) منفصل تماما، التداخل يشمل التذبذب والمراوحة طول الوقت.

في التشكيل الخالي المسألة لا تقتصر على التأكيد على الخوف من الاقتراب، من الحب، من الهجر، من الترك، التشكيل هنا لا يبدأ بالصد والدفع بعيدا بل بمبادأة الاقتراب لاختبار إمكانية العلاقة دون التخلي عن التوجس والخوف، هو ليس موقف "كر فر" صرف، بل إنه بمثابة محاولة نقلة، تذبذب خطوات تصف تنوعات متنوعة متبادلة ما بين عدة مواقف في نفس الوقت، طول الوقت، لكنها تنتهي - من فرط غلبة عدم الثقة والتوجس- إلى الموقف اللاعلاقاتي (الشيزيزي) "حافظ حجة من سقي، واجرى أكلها، تحت الكرسي المش باين".

الصورة تبدأ بإعلان محاولة التراجع عن موقف "الكر والفر" (البارنوي) بالتقدم نحو الموقف العلاقاتي بشكل ما، كأنه يقدم أوراق اعتماده للآخر، ليعتبره "موضوعا بشريا" له حق الشوفان والاعتراف، وهو في نفس الوقت يجس نبض وجود الآخر في وعيه، وبالعكس، لعل وعسى:

والعين الخائفة اللى بتلمع في الضلمة  
عمالة تختير الناس:

بتقرب من بحر حنائهم،

زي القط ما بيشمم لبن الطفل بشاربه.

في قصيدة "جلد بالقلوب" في ديوان سر اللعبة، كان الخوف من الاقتراب هو الأصل، بدأت القصيدة هناك بأمر كأنه نذير أو تحذير من الاقتراب (من العلاقة البشرية) دفاعاً ضد أي اقتراب:

لا تقربوا أكثر،

إذ أني

ألبس جلدى بالقلوب

حتى يدمى من لمس الآخر

فيخاف ويرتد إذ يصبغ كفيه نرؤى حتى!

أما في الخبرة الحالية فقد حاولت أن أكشف كيف أن "التركيب البارنوي"، حين يحاول أن يخطو خطواته الأولى للتعرف على الموضوع إنما يفعل ذلك بتلقائية حذرة، وهو يتحسس طريقه للحصول على صك الوجود من خلال أن "يُشاف"، أن يُعرف به، هذه هي البداية التي تتيح له فرصة أن "يكون" فـ "يتواصل". قصيدة "جلد بالقلوب" (بالفصحى/سر اللعبة) تبدأ من بؤرة الموقف البارنوي (الكر-فر) بالدفع بعيداً، في حين أن التشكيل هنا يبدأ بإعلان تجربة الاقتراب برغم استمرار الخوف:

بتقرب من بحر حنائهم،

زي القط ما بيشمم لبن الطفل بشاربه.

عمالته بتسأل:

عايزينى؟

طب ليه؟

عايزينى ليه؟

توظيف هذا العمل (الشرح/الاستلهام) في خدمة الأمراض النفسية (السيكوباتولوجي) والعلاج النفسي، مع مخاطرة تشويه ومسح الشعر شعراء، يسمح لنا بالإشارة إلى كيف أن محاولة عمل علاقة مع صاحب (مرحلة) هذا التركيب هي مغامرة تحتاج إلى مهارة علاجية فائقة، علاقة حقيقية تحتوى أوهايم المطاردة ولا تكتفى بكتبها، ولا تتسطح بالنصائح والإقناع، في خبرتي وجدت أنها مرحلة عادة ما قد تحتاج إلى ما هو أكبر من العلاج الفردي، (بالإضافة إلى اللازم من عقاقير) لاحظت أن

العلاج الجمعي، وكذلك علاج الوسط هما أقدر على احتوائها بإعطاء المريض فرصة اختبار أكثر من "موضوع بشري واحد"، بما يزيد من فرصة نجاحه في محاولته مواصلة مسيرة النمو.

تبدأ هنا المحاولة انطلاقاً من موقف التوجس الحذر، بمراجعة الأمر عبر الاحتمالات الأخرى، وذلك من خلال طرح تساؤلات بديلة عن أن الموضوع (مَنْ هو "ليس أنا") هو خطر طول الوقت، الشخص في مسيرته النمائية في هذه المرحلة لا يكل من التساؤل عن ما إذا كان "مرغوباً فيه" أم لا (عايزنّي!!؟). وهو بذلك يحاول أن يتجاوز يقينا سابقاً كان يبرر له كره وفره طول الوقت، هذا اليقيني الذي أكد له: "أَنْ أحداً لا يريده، لا يعترف به، لم يره، لا يرغب في الاعتراف به"، فهو بطرحه هذه الأسئلة يبدو أقرب استعداداً لتصديق الإجابة إن جاءت بالإيجاب، وهكذا يبدو أنه بدأ يخلخل يقينه من تجربته المريرة السابقة (توهما أكثر منها حقيقة) التي ضاعفت عنده ما وصله من مشاعر: الإنكار، والإهمال، والرفض... فهو يتساءل - يسائل نفسه أساساً - ما الذي جدّ، فيه أو فيهم، بحيث يشجعه على المضي في المراجعة ربما يصله أنه أصبح "مرغوباً فيه الآن؟"

### إِشْمَعْنِي الْوَقْتِي؟

وهو يواصل التساؤل - مهما وصله من إجابات إيجابية - فهذه طبيعة المرحلة، التي لا تستبعد وصول أية رسالة ذات فاعلية نمائية إليه.

من الطبيعي أنه يلزم للإقرار بالرغبة في قبول "وجود" آخر، أن تعترف به، أن ترى حقيقته الكلية ابتداءً ما أمكن ذلك، الحاجة إلى "الشوفان" إلى الاعتراف، لا تتطلب مجرد الإعلان التقريري أو إطلاق ألفاظ الحب والرضا، ولا حتى الرعاية الظاهرية! إن الأم تريد ابنها بداهة و"نعوزه"، (إلا ما ندر)، لكن هل هي تريده وتظل تراه وهو في طريقه أن يكون كياناً مستقلاً منفصلاً عنها بشكل حقيقي؟ أم أنها تراه غالباً، أو تماماً، امتداداً لذاتها وكأنه ما زال قابلاً في رحمها؟ هل هي تراه "كله"، أم ترى الجزء الذي يظهر منه ويسمح لها بامتلاكه؟ حتى الطفل في هذه السن الباكرة يريد أن يرى كله، وأن يُعترف به كما هو، له، وليس باعتباره شيئاً مضافاً إلى ملكية الأسرة، إلى ملكية الأم بالذات، هذه المرحلة، هي طبيعة بيولوجية حيوية، وهي تستمر حتى نقضى.

اختفاء هذا الموقف البارنوي من ظاهر الوعي هو ادعى لافتراض أنه اختفى بالإنكار، لا أكثر، وذلك يتفق ما أشرنا إليه من غلبة هذا الموقف (الكر-فر) على معظم سلوك الإنسان المعاصر في مرحلة تطوره الحالية (الحالة السابقة).

### بِصِحِيحِ عَايَزْنِي؟

بقي حَدْ شَايْفْنِي يَا نَاش؟

مِش لازم الواحد منكم يعرف:

هوه عايز مين؟

بقى حد شايفنى أنا؟

أنا مين؟

أنا أطلع إيه؟ وازاى؟

طب ليه؟

الله يسامحكُم . مِش قصدى .

السماح هنا ليس سماحا حقيقيا بقدر ما هو تسليم لمختلف الإجابات عن أسئلته اللوح: ("عايزنى؟؟") - بقى حد شايفنى "أنا" - أنا أطلع مين ..)

إن الاشتراط الضمنى الذى يربط "العوزان" بـ "الشوفان" بهذا القدر من الموضوعية، والكلية، قد يبدو أنه للتعجيز أكثر منه مطالبة حقيقية بالاعتراف، يبدو أن المناورة هنا تهدف للوصول إلى تبرير تجنب الخوض في علاقة حقيقية، إذ كيف يطالب الإنسان - في هذه المرحلة - الآخرين أن يروا داخله أيضا، أن يروه كله، في الوقت الذى يبذل فيه كل جهده لتحقيق عكس ذلك !!!

وصل الأمر بأحد مرضى من الصعيد جدا أنه كان يطلب من زوجته أن تجيب على أى سؤال يطرحه .. بنفس الإجابة التى في ذهنه بنفس الألفاظ جدا، مثلا : إذا كان في ذهنه أنها سوف ترد بالإيجاب بـ "حاضر"، فهو ينتظر هذا اللفظ تحديدا دون أية لفظ آخر مثل "ماشى"، "موافقة"، أو "تمام"، وكانت إذا لم تأت باللفظ (أو الجملة) المحدد الذى في ذهنه، يرفض وقد يعطيها فرصة أخرى وأخرى حتى إذا عجزت تماما ثار واعتدى عليها عدوانا بدنيا فعلا تحت زعم أنها لا تراه، ولا تحس به، ثم يتطور الأمر إلى ما هو أخطر فأخطر حتى الاتهام بالخيانة .

حين تشتد الحاجة بمثل هذا الشخص، فإنه قد يرضى بأية علاقة حتى لو كانت سريعة، أو مؤقتة، وهو قد يكتفى أن تكون من جانبه هو فحسب، ولو كبدائية، ثم إنها حين تكون من جانبه بهذه المبادرة، فإنها قد تطمئنه إذ يظل هو المتحكم في شروطها، وكأنه يخطفها ختفا دون إذن صاحبها، هذا الموقف يطمئنه جزئيا برغم استمرار توجهه ورفضه، وهو موقف انتظار بشكل ما، فيه درجة من البصيرة، لا تمنع استمرار المحاولة بل إنه يدل على عدم فقد الأمل في علاقة مهما كانت واهية أو مؤقتة أو مذبذبة، لكن المحاولة مستمرة

وإليكم بعض ما سوف نبدأ بمناقشته غدا:

أنا قاعد راضى بخوفى المِش راضى.

أنا قاعد لايئم أغراضى.

أنا قاعد راصدُ شاددُ جامد،  
قاعد اتصننتُ، فاتح وعيى الجوانى  
على همس الست المش شايفانى،  
وأسهيها،  
واتمسح ف كعوب رجليها.  
تتململ،  
أخطف همسة "أيوه"، أو لمسة "يمكين".  
واجرى اتدقى بـ "يغنى"،  
وانسى الـ "مش مُمكن".  
\*\*\*\*\*  
ونكمل غداً:

